الشباب مسؤولية الخطاب

المقدمة

تمثل فئة الشباب في هرمية المجتمعات الإنسانية عموماً مصدراً رئيساً للقوة التي تضخ الدماء الساخنة في شرايين الكائن الاجتماعي، وتمنحه القدرة على النبض، ومن ثم القدرة على التطور البايولوجي نحو ما هو أفضل على أرض الواقع.

من هذا المنطلق، وعلى هذا الأساس يتم في أي مجتمع يطمح إلى بناء نفسه رصد حصة الأسد من الاهتمام، والرعاية لشريحة الشباب التي إذا استـُثمِرت بالشكل الصحيح فإن المجتمع بذلك سيكون فتياً، وهذا سينعكس إيجاباً على تفاصيل الدولة التي ستكون بالنتيجة حيوية الحراك، وسليمة من آثار الصدأ الذي قد يرين على بعض مفاصلها إذا كانت دولة هرمة، وغير مستغلة لطاقة الشباب.

ومن اللافت للنظر في مجتمع مثل العراق الذي عاش مخاضات حروب شرسة وبشعة، ومختلفة ضاعفت من ميراث مصائبه، وأحزانه تجد الشباب فيه كهل التجربة فتيَّ العمر، فكثير من الشباب تصدّوا للحياة، وظروفها الصعبة والعسيرة عندما طحنت رحى الحروب آباءهم، بل إن كثيراً من النساء عانين ولحد الآن من شظف العيش؛ بسبب آلة الحرب العمياء التي أكلت أزواجهن، وبقيت تداعياتها مستمرة في أحشاء المرحلة. نعم .. هذه هي سنن الحروب على مرّ التاريخ تبدأ بالكلام، وتنتهي بالآلام.. يقول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى واصفاً بشاعة الحرب:

وَتَعْرَكُكُم عَرْكَ الرَّحى بِثِفَالِها وَتَلْقَحْ كِشافاً ثُمَّ تُنتِج فَتُتْئِمِ

ولعلّ أمام الحرب قد تصمت جميع الأسباب فهي وحدها المخاض الكافي لأن يخلق تجربة للشاب الذي درّبته الحرب على "المواجهة" على الرغم من أنها سكبت في قلبه طوفاناً من الحزن.

المهم في ذلك أن الشاب العراقي يمتلك روحية المواجهة التي ستجعله فيما بعد يواجه المسؤولية، ويتصدى لإدارة مركز مهم من مراكز القرار في الدولة.

من ذلك كله.. ينتهي بنا الفهم إلى أن على العقل السياسي أن يضع في حساباته بث الدماء الجديدة في الدولة، والمجتمع لتمتزج كهولة التجربة مع فتوّة العمل بما يسهم بميلاد الوطن الحي والفاعل في بلد مثل العراق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله الصالحين.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين))

(سورة الصافات/102).

عندما يكون الحديث حول الوسط الشبابي، وعندما يكون المخاطَب شاباً، يكون المتحدث أمام مسؤولية إنسانية تنفذ إلى العمق حيث الكمّ الهائل من الشريحة الاجتماعية التي يمثلها الشباب؛ لأن أعمارهم تمتد بين الخمسة عشر عاماً إلى ما يقرب من الأربعين عاماً، وحين نوجّه حديثنا إلى الشباب فإنما نوجّه الحديث لعنفوان القوة، لأن الإنسان يبلغ ذروة قوته في مرحلة شبابه.

حين يتوجه الحديث إلى الشباب معنى ذلك أننا نوجّه الحديث إلى البداية القوية، التي يتحرر بها الشعب من رواسب الماضي، ونوجه الخطاب إلى العزيمة والإرادة الصلبة التي لا تنحني أمام ضعف، وتهاون من موقع العاطفة، أو من موقع الجهل، كل ذلك يكمن في شخصية الشاب.

إن الأمم الحية رعت شبابها رعاية تتناسب مع طموحاتها وآمالها وتوظف طاقات شبابها توظيفاً يؤهلها لأن تتجاوز التحديات في المآزق الحرجة، وتتطلع إلى تحقيق الأماني والطموحات من خلال إيمان شبابها بذلك.

الجيل السابق كانوا قد أعاروا جماجمهم، وتعلقت أجسادهم على أعواد المشانق؛ من اجل الإطاحة بالدكتاتور الذي جثم على صدر العراق الحبيب لم يبخلوا بكل ما لديهم، منهم من نال شرف الشهادة، وسُجن منهم من سُجن، وهاجر من هاجر، واختفى من اختفى.

البناء مسؤولية الجيل الجديد

بقيت هوية الرفض والإصرار على التحرير سمة بارزة وبالغة الأثر طبعت مسيرتهم؛ فكان ذلك الجيل قد أبى إلا أن يكتب تاريخ العراق المعاصر بأزكى الدماء، وهكذا تكللت مسيرتهم المظفرة بالانتصار على عدوهم وعدو الإنسانية.

على الجيل المعاصر اليوم مسؤولية البناء، بناء العراق الجديد، وهو أيضاً وإن كان قد خرج من معركة دامية حامية الوطيس ضد الدكتاتورية لايعني أنه خرج من ميدان المواجهة تبقى على عاتق الشباب مسؤولية المواجهة ضد حروب تعددت عناوينها لكنها بقيت من حيث المفهوم والعنوان واحدة، وظلت تتطلب تضحية، وشجاعة، واستبسالاً تلك هي معركة الإرهاب.

تركت هذه الصفحة السوداء صفحة العراق للسنوات القليلة التي مضت آثارها الوخيمة في الكثير من بيوت العراقيين، وعبثت، وفجّرت، واغتالت، وبضّعت، ومثـّلت بالكثير من أجساد الضحايا، ويبقى الشاب ينظر إلى هذه المآسي من موقع الرفض لكل هذه الحالات، ويتطلع إلى صناعة عراق جديد، هذا العراق الذي يكون أمانة في أعناقنا.

إن حركة الشباب في العراق ليست بمعزل عن ظاهرة طفحت على السطح العالمي في كل بلد من بلدان العالم.. الشباب اليوم في كل العالم يرسمون معالم المجتمعات الجديدة بناءً فكرياً، ونشاطاً اجتماعياً، وتصدياً سياسياً.

الناظر إلى المسرح الدولي يجد أن الشباب شقوا طريقهم إلى التصدي، وهذه سمة من سمات المجتمع الحي لأن خزين القوة، ورصيد الطاقة، التي يملكها الشاب خصوصاً حينما تتوافر له أجواء البناء المعرفي، والمعنوي، والمادي، والعلمي، تؤهله لأن يتصدى للنهوض بمثل هذه المهمات الصعبة.

لذلك ليس سراً على أحد أن دخول الشباب في الكثير من بلدان العالم إلى أروقة السياسة، والتصدي واعتلاء المنصات السياسية، واعتماد الخطاب، والتعامل لبناء المجتمع قد أصبح سمة حضارية معاصرة نعتز بها، ونعمل من أجل نشرها في مجتمعنا.

الشباب ومواجهة التحديات

من دون شك أن مثل هذه الطموحات تقف أمامها عقبات كثيرة، وتحديات كبيرة جداً، هذه التحديات ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة.. بطبيعة طريق الصعود نواجه مثل هذه المحطات، ولا يمكن لسالك طريـــق الصعود إلا أن يعقد العزم على أن يتحلى بإرادة قوية فولاذية، ويواصل طريقه من دون تردّد؛ فأملنا كبير جداً، وتناسب مع حجم ثقتنا بأبنائنا وبناتنا، وهم يرسمون معالم العراق الجديد.

لابد لنا من أن نواجه هذا الصعوبات والتحديات ببصيرة نافذة، ليس من موقع الاستسلام، إنما من موقع معالجة هذا الواقع.

أنا أعتقد شخصياً أن الشباب عندما ينظرون إلى ما يحيطهم من واقع اجتماعي يجدون أنفسهم أمام خيارات ثلاثة:

- الاحتكاك بالعرف الاجتماعي إلى حد الذوبان، وتأبى عليه مبادؤه (الشاب)، وقيمه، ومسئوليته الوطنية أن يذوب بكل شيء من حوله.

- خيار آخر هو: التمرد والانفصال عن هذا الواقع، وأن يشق الشاب طريقه بعيداً عن مجتمعه، وهذا النوع من التمرد هو الآخر هروب، ولو كان إلى الأمام، وتأبى عليه (الشاب) مروءته، ووطنيته، ووفاؤه لتراثه ولحاضره ولشعبه أن يسلك مثل هذه الطريق.

- لن يبقى أمام الشاب إلا خيار ثالث هو: أن يشمّر عن ساعد الجد، ويتحلى بعقلية واقعية، وبوعي نافذ؛ ليمارس عملية رفض الخطأ وقبول الصواب من موقع الوعي، ويواصل مسيرته رافضاً كل خرافة، وكل نعرة، وكل لافتة تتشدّق باسم العلم والعلمية، وباسم الاعتزاز بالشأن التاريخي، وقابلاً هنا لكل ما يمتّ إلى فكره، ومبادئه، وقيمه وإنسانيته بصلة.

من هنا تجد نفسك أمام شاب يعرف ما يرفض، ويعرف ما يقبل، ليست عقدة عندما نرفض شيئاً، وليست عقدة عاطفية أن نقبل هذا. إنما ننطلق في رفضنا وقبولنا بناءً على بصيرة كما يخبرنا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الله (عز وجل) في محكم كتابه العزيز:

((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)) (سورة غافر/14).

الشاب لا يستمد قيمته من خلال سنوات عمره فقط، ربما يمضي الزمن والعقل بعدُ لم يتطور، وربما ينفتح الشاب بعقليته فيتزود معرفياً، ويقوّي إرادته، ويربط نفسه بقيم أصيلة، ويعمل من أجل بناء المجتمع.

الشاب كبير الحجم، وإن كان صغير العمر؛ لذا نتطلع إلى شباب يدركون جيداً عظمة أن نجرّب مسؤولية البناء لشخصية الشاب، ومسؤولية الشاب عن منابت الشباب بالتربية، انطلاقاً من البيت واستمراراً بالمدرسة وانتهاءً بالمجتمع والسياسة، كلها تزوّد، وتموّل الشباب بثقافة وطنية أصيلة، ولكن تبقى إرادة الشاب في انتقاء ما ينبغي أخذه، وما ينبغي رفضه هي الفاصلة التي تحدد مساره.

من هنا تميز الشباب بأنهم يحملون إرادة قوية، ربما أوقعت بعض علماء النفس الحديث مثل (كرندر) و(فرويد) بالمغالطات حيث اتهموا الشباب بأنهم ظاهرة تمرّد، وأنهم رحلة ضياع.. أنا لا أعتقد ذلك، بل بالعكس نحن حينما نلتقي الشاب، نلتقي عقلاً متفتحاً يريد أن ينتقل من التلقي بالطاعة العمياء إلى التلقي بالقناعة، كما نلتقي الشاب وهو يخوض غمار الحياة من حوله، وبناء الحياة من حوله، يلتقيها بإرادة قوية، ويدخل عالم الرجولة بما يحمل من معاني البناء، وليس بما تعكسه من نزعة الفحولة المقيتة، حيث تجمّد فيه العقل، وتجعله سجين العاطفة، أنه يرتبط بعشيرته إلى حد الصنمية، وبتأريخه إلى حد الصنمية، أنه يُصِر على أن يقوم برحلة جديدة تقوم على وعي نافذ، وبصيرة مستوعبة لكل ما حوله.

الشباب والوحدة الاجتماعية

إن آمالنا الكبيرة، وطموحاتنا العريضة، لا تقف عند حد العراق اليوم بما هو عليه، وما ينبغي أن يكون عليه، فهناك بون شاسع. نعيش في العراق وهو من أغنى بلدان المنطقة إن لم يكن أغناها على الإطلاق، لكننا نعيش في بلد، شعبه فقر، بل أفقر؛ لأنه غنيّ.

يرث الشباب عن آبائهم وأجدادهم مجداً موشحاً بالوحدة الاجتماعية، على الرغم من التنوع عبر التاريخ، لكن هذه الوحدة تهبّ في وجهها بعض الأعاصير المتخلفة من هنا وهناك، وتحاول أن تمزّق صف الشعب العراقي، والعراق اليوم في ضوء التطورات التي حصلت في العالم أمام ثورة المعلومات، أمام القفزات التي تموّل الشرائح الاجتماعية المختلفة عموماً، والشباب خصوصاً، نجد للأسف الشديد، ربما لم يتم اللحاق حتى اللحظة بطريقة تتناسب مع قيمة هذه الوسائط، وسائط المعلومات والإنترنت بالشكل المطلوب.

رفض الشباب للمناطقية والعنصرية

هناك تخلف بالمناهج، وللأسف الشديد، دول العالم حسبما تكشف بعض الإحصائيات، أن أكثر من ثمانين في المائة من الشباب في مقاهي (النت) يستخدمون (النت) لثقافة السوء، وثقافة الهدم. بينما نريد، ونتطلع من هذه العولمة والعالمية في المعلومات، وبعد أن اختزلت الجغرافية، واختزل البعد القاصي الى الغرفة الكونية، وإلى البيت الكوني، أن يكون الشاب قد حضر المعرفة في المكان الآخر، والثقافة التي تنتمي إلى الآخر، والحضارة التي تنتمي إلى الآخر، لينطلق بثقة منفتحة عليها. يعرض حضارته على الآخرين ويبحث عن المشترك مع حضارات الآخرين، حتى يضفي على أدائه انتماءً إنسانياً، لكي لا نحوّل الشاب الى ظاهرة مناطقية، أو عنصرية، أو طائفية، أو قومية، بل نجعل من الشاب ظاهرة إنسانية، يلتقي فيه الشاب هنا بالشاب هناك في الكثير من المساحة المشتركة التي تنم عن ولادة حضارة جديدة، توشح فيها حياة الإنسان بما هو إنسان، بإكليل التميز والتقدم من دون ان تكون رازحة تحت نعرات العنصرية وغلبة المادية.

لا تتأتى مثل هذه القوة، والإصرار، والزاد الذي يتمول به شبابنا اعتباطاً إنما ينبغي ان نفكر كثيراً كيف يتمول شبابنا بزاد المسير.

العواطف تجعلك منشداً آنياً لقضية ما، إنما عقلنة العاطفة، والتزود بالفكر الإنساني الخلاق، الذي يجعلك اكبر من الجغرافية التي تقطن فيها، وأبعد من الزمن الذي تعيش فيه، لابد من ثقافة إنسانية، ترتبط بقيمنا، ومبادئنا، وتراثنا، بما زخر به من قيم، وبما حفل به من مواقف يشهد له بها القاصي والداني.

الشباب.. الإبداع والمستقبل

حتى نفتـّح شبابنا على التزود بهذه الثقافة، الثقافة التي تنعدم فيها المسافات بحثاً عن الحقيقة:

(اطلب العلم ولو في الصين)

الثقافة التي ترفض الركود والمراوحة:

(اطلب العلم من المهد إلى اللحد).

الثقافة والعلم، الذي يرتقي بالشاب على سُلـَّم الصعود من دون ان يستسلم إلى أن للعلم سقفاً محدداً:

((وفوق كل ذي علم عليم)) (سورة يوسف/76).

الثقافة التي توظف الإلكترون للطب، والأجهزة المستخدمة لتوفير اتصال قوي وخدمات قوية، لا لإشاعة الحرب النووية، لذلك نرفض منطق التسلح النووي في العالم كله؛ لأنه ينذر بدمار وشيك -لاسمح الله- ، والذي قد لا تقف آثاره، وتداعياته عند منطقة دون أخرى، هذا العلم، وهذه الثقافة المرفوضة من شبابنا.

عندما نحدّث شبابنا، نحدثهم على أنهم الرافد والمنبر الذي سيتدفق قريباً في كل حقل من حقول المجتمع، وفي كل مجال من مجالات الاختصاص من دون استثناء، نـتحدث مع الشاب، نـتحدث مع مهندس المستقبل، وأديب المستقبل، وفنان المستقبل، وطبيب المستقبل، واقتصادي المستقبل، بل قدم لنا شبابنا في حاضرهم اليوم بأنهم وهم في بداية دخول عالم الشباب تفتقت طاقاتهم، واستطاعوا أن يسجلوا حضوراً هنا وهناك فاق تصور الكثير ممن يشاهدهم.

اليوم نجد الشباب العراقي، في مجال الأدب، والشعر، والفن، والرياضة، والتخصصات المختلفة أنهم استطاعوا أن ينطلقوا من محنة العراق فيحولوا هذه المحنة إلى دوافع للعمل والإصرار على المضي في طريق البناء أكثر من ذلك، نجد أنهم استطاعوا بمختلف خلفياتهم المذهبية أن يكسروا إرادة الشر، إرادة النعرة الطائفية، التي تحاول أن تبضّع بجسم مجتمعنا.

دور الشباب في الحفاظ على مجتمع التآخي والتعايش

نحن نحافظ على اللحمة الوطنية العراقية، ليس فقط من موقع الشعار، بل من موقع وعي الآخر، ووعي المشترك، الثقافة التي تجعلك نافذاً في شخصية الآخر، ومؤثراً فيه ، أنت تشعر أن الوحدة الوطنية العراقية ليست مسألة ادّعاء، إنما الوحدة الوطنية العراقية تقوم على معرفية تدونت عبر التاريخ، وتركت آثارها وبصماتها في كل صفحة من صفحات تاريخنا المجيد.

لقد عاش آباؤنا وأجدادنا طيلة التاريخ متحابين، ومتآخين، ومتعايشين ربما شهدت بغداد سجالاً طائفياً، ولكن كتـّاب التأريخ من زاوية اجتماعية، نظـّروا لمثل هذه السجالات والحروب، نظرّوا على أنها وافدة إلى العراق، ولم تنطلق من أرض العراق، ربما شهدت بغداد مداً عثمانياً ضد الشيعة، أو مداً صفوياً ضد السُنة، ولكن هذه الامتدادات ليست من الشخصية العراقية.

لا يكفي أن يكون لنا تأريخ طويل، بل لابد أن نحافظ على حاضرنا، ولابد أن نحوّل التأريخ من خلال فهمنا لطبيعة الأسباب المرتبطة بالنتائج، نحوّل التأريخ إلى حاضر، وعندما نفهم، ونصر على فهم التأريخ فهماً حقيقياً في صناعة الإنسان، وكيف نجنب بلدنا ومجتمعنا الشرور؟ عندئذ سنجد أنفسنا، أننا نقرأ التأريخ قراءة مستقبلية، وان التأريخ تحول الى نافذة نطلّ من خلالها على أجيالنا القادمة.

ما نعيشه اليوم كان مستقبلاً في الماضي، وما نقرأه في التاريخ اليوم كان حاضراً في الماضي، وما نستشرفه في المستقبل سيتحول إلى حاضر عند الجيل القادم، علينا أن نفكر ببناء هذا الجيل القادم.

بين الفردانية والتعددية

ظاهرة في المجتمع بعد سقوط صنم الفردانية، الفردانية في السياسة، في الجيش، والفردانية في الحالة الحزبية، وفي كل شيء، والتي جسّدها صدام بأبشع صورها سقطت، وكان من الطبيعي أن ترث الفردانية تعددية واضحة، تمظهرت على شكل أحزاب سياسية متعددة، ونشاطات سياسية متعددة، مؤسسات المجتمع المدني، وتمظهرت كذلك على شكل مدارس مختلفة في الرؤى والسياسة.

الرأي والرأي الآخر

هذا هو المطلوب في عالمنا اليوم، عالم يُحترَم فيه الرأي والرأي الآخر، لا نفكر كثيراً لماذا نختلف، إنما نفكر كيف ندير العلاقة من موقع الاختلاف؟ وكيف نحسن التعامل من موقع الاختلاف والاختلاف حقيقة لا تنفك عن الإنسان بأي حال من الأحوال.

من يفكر بأن يجد عالماً خالياً من الاختلاف فهذا يعيش في نرجسية قاتمة، وظلام دامس في تخيلاته، وسيكتشف هناك في العمق أنه يختلف حتى مع نفسه، لذلك لا وجود لعالم خالٍ من الاختلاف في وجهات النظر، إنما لنفكر كيف ندير هذا الاختلاف؟ ولا نقمع الآخر، ولا نضيق ذرعاً بالآخر، لا في البيت، ولا في العلاقة الزوجية، ولا في المدرسة، ولا في السياسة، ولا في الحزب، ولا في الحكم، ولا في كل منتدى من المنتديات.

المطلوب.. أن نجعل بوصلة الاختلاف في وجهات النظر تتجه باتجاه الآخر، والمفروض أن نؤنسن الآراء بحيث تنطلق من الإنسان، وتستهدف خدمة الإنسان، وتتحرك في إطار فكر الإنسان، وعواطفه...

بين الفكر والعاطفة

بقي الفلاسفة من خلال حواراتهم في أروقة الفكر، والفلسفة، والتعاطي المعرفي المجرد، بقوا كباراً في التأريخ، ومن دون شك أنهم أثروا المسيرة الفكرية، وقدموا لنا خدمة كبيرة من خلال تصديهم لقمة الفكر، لكن الأطروحات الفلسفية المجردة ستبقى رهينة النخبة، وستبقى سجينة لعدد معين عبر التاريخ، لذلك عندما تريد أن تطّـلع على آراء (سقراط)، و(أفلاطون)، و(أرسطو)، و(الاسكندر)، و(ديكارت)، و(هيغل)، و(الفارابي)، و(ابن سينا)، و(جون لوك)، و(هوبز)، وكثير من الفلاسفة، تجد نفسك، لابد من أن تدخل إلى الثقافة الخاصة، و تهيء لنفسك أدوات من العلم، والمقدمات حتى تفهم ما أراد الآخر.

أما الفكر الإنساني المبسّط الذي جاء لخدمة الإنسان فسرعان ما نزل من عالم العقل إلى عالم القلب، وسرعان ما امتزج، بين عمق الآراء الفلسفية، بعواطف الناس، ولذلك تجد الفكر التياري، وتجد الفكر الإنساني، تجدهما في محلات الباعة في السوق، وتجدهما في الأزقة وأنت تتجول بين الناس، تجد المزارع، والعامل، مثلما تجد الطبيب، والمهندس، وغيرهما كلهم يعكسون لك حالة الفكرة المؤنسنة، والفكرة الموشحة بالحب والعاطفة.

لا قيمة للفكرة ما لم تأخذ حصتها من العاطفة، ولذلك يمزج القرآن الكريم مزجاً رائعاً بين كل فكرة مع العاطفة ويأبى إلا أن يوشحها بإكليل العاطفة:

((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها))

(سورة الروم/21).

مفهوم ((من انفسكم)) معرفياً، أسقط كل الادعاءات التي جعلت ان الأنثى جنساً دونياً أقل من الرجل، لكننا لا نقف في الآيات القرآنية الكريمة عند حدود أدلجة، وتنظير، وتقديم هذه الفكرة، من دون أن تلحقها:

((وجعل بينكم مودة ورحمة)) (سورة الروم/21).

فكرة تخرج من حيزها في الذهن، لتتحرك في فضاء القلب والعاطفة:

((ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم)) (سورة الحجرات/7).

هو إيمان، لكنه من موقع الحب:

((ألم يأن ِللذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله)) (سورة الحديد/16).

لذلك أدرك المصلحون عبر التاريخ، ان الفكرة عبر التأريخ مهما كانت قوية، فلابد من ان تنفذ إلى قلب المتلقي الاجتماعي، والا تبقى أسيرة لمجموعة قليلة من الناس، فارتسمت على شكل تيار.

ما من مصلح، الا وتجد حوله مجموعة يجيدون فن مزج الفكرة بالعاطفة، ليوجدوا مجتمعاً صالحاً من خلال عملية الإصلاح، من هنا كان أنبياء الله (سلام الله عليهم اجمعين)، حملوا فكراً تيارياً إصلاحياص، وتعدى ذلك إلى كل قادة المجتمع، وفي كل بلد من البلدان، إنهم فكروا بسرعة كيف يحولون فكر النخبة، ليس من موقع الانفصال والاستغناء عن النخبة، النخبة ليست عيباً أبداً:

((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) (سورة النحل/43).

ولكن لا ينبغي أن تبقى الفكرة مقيّدة في عقول النخبة فقط، بل ينبغي تحويلها إلى تيار اجتماعي من خاصة الناس إلى عوامّ الناس، حتى يتفاعلوا معها بأهداف محسوسة، وبعواطف لا يشك فيها احد، ولا تشوبها شائبة.

أثر التيارات في الأمم

من هنا نجد ان الكثير من أمم العالم عاشت حالات التيارات في وقتها، ووجدنا كيف تحول الكثير من القادة، كـ (المهاتما غاندي) و(نهرو) و(مانديلا) و(ديغول)، تحولوا إلى تيارات، مات ديغول وبقيت (الديغولية)، وظل ساسة فرنسا متأخرين، يعيشون عيالاً على قادتهم السابقين، لأنهم تحولوا إلى تيارات، خرج (مانديلا) من الحكم ولم

يخرج من التاريخ، لأنه تحول إلى تيار، وخرج (المهاتما غاندي)، لأنه تحول إلى تيار، حيث قهر اكبر إمبراطورية في التاريخ الحديث والمعاصر، بثورة لم يحمل فيها السلاح، إلا سلاح التيار، ولذلك قال (وينستون تشرشل): لا معنى لكلمة بريطانيا العظمى من دون الهند وأمة الهند، واستطاع نهرو ان يحقق لها استقلالاً من دون ان يحمل سلاحاً سوى سلاح التيار أيضاً.

هذا التيار لا يولد من شخصية احد، التيار يولد نفسه من خلال منظومة فكرية، ويتجه لتحقيق أهداف وطنية إنسانية محددة، يلمسها الجميع، ويؤمن بها الجميع، أو على الأقل المجموع يؤمنون بها، ولذلك الرموز وما أكثرها، التي تبدو على مسرح التيار، ليس بالضرورة أنها هي التي تولد التيار، بل إن التيار هو الذي يولدها، وأنها جزء من التيار وليس التيار جزءاً منها، وهي في خدمة التيار من دون أن تستخدم التيار.

التيار قدر وطني، وقدر اجتماعي، ووعد تاريخي لكل امة يراد لها ان تنتصر، انك تجد تياراً تعبوياً جامحاً يتحرك في أعماق المجتمع، مرة يأخذ نمطية الرفض عندما يواجه ديكتاتورية أو احتلالاً، وأخرى يأخذ نمطية البناء، عندما يريد ان يثبت مبادؤه، ويثبت رجالاته الوطنية على طريق البناء والتحرك، هذا هو المعنى الإنساني لمفهوم التيار، وحتى يكون التيار تياراً وطنياً لا ينبغي ان يستبدل الانتماء الوطني بشيء آخر..

يجب ان يحترم منظرو التيار كل الانتماءات، سواء أكانت على خلفية دينية، ام مذهبية، ام سياسية، ام قومية، ولكن مفهوم التيار من خلال تدفقه من منبع الفكر، ومنبع العاطفة يفترض فيه أنه يتسع، ويرقى الى حيث العراق كله.

الولاء للوطن فقط

عندما نسلم معاً أن الوطنية العراقية هي سر وحدتنا، وهي سر انتصارنا، متى ما وضعنا الانتماء العراقي فوق كل الانتماءات، ومتى ما وضعنا الولاء الوطني فوق كل الولاءات فنحن بخير، وسيجد بعضنا البعض الآخر عوناً له؛ لأن همّه كبير يرقى الى همّ العراق كله، ولذلك يجد بكل حزب، وبكل جهة، وبكل طاقة نامية، يجد فيها عوناً له في بلوغ أهدافه، والارتقاء الى مستوى المسؤولية، أما عندما نشخصن العراق، ونحاول ان نختزله بذواتنا، فمن هنا تبدأ المشكلة، ومن هنا تبدأ الفرقة، فبدلاً من ان نحتضن القوى سنحارب القوى، وهكذا يبدأ المجتمع باغتيال طاقاته.

ترددت في ملفات الثورات والأمم التي خرجت عن مسار الإنسانية، ان الثورة تأكل ابناءها، لماذا؟ لماذا تأكل أبناءها؟ لماذا لا تحتضن ابناءها؟ لماذا لا تتكامل مع أبنائها؟ من الذي حظر على الآخرين ان يقدموا ابناءهم وبناتهم من موقع الكفاءة لبناء العراق؟ ومن الذي أعطى الحق لأحد بأن يحتكر الكفاءة بداخله الشخصي، والأسري، والحزبي، والجبهوي، والقومي، وكل شيء؟

العراق واسع، وإذا ما أردنا ان نختزل العراق، فأي قوة توافرت مثل القوة التي توافرت لصدام، فقد واطأه الوضع الإقليمي وواطـَأه الوضع الدولي، وتوافرت له من أسباب القوة ما لم تتوافر لأي دكتاتور من قبله، ماذا كانت نتيجته؟ انتهى، وبقي هذا الشعب.

العراق في القمة

هذا الشعب بكل ما آتاه الله (تبارك وتعالى)، من طاقات، وبكل ما منّ عليه من خيرات وثروات، اراد له ان يحتل موقعه الطبيعي بين أمم العالم، مثلما كان العراق على قمة في التاريخ، حتى كأنك عندما تريد ان تقرأ العراق، وتقرأ تاريخ العراق، لابد من ان تتسلق إلى قمة التاريخ، وإذا أردت ان تعرف حجم العراق الحضاري، لابد من ان تتسلق على قمم الحضارات، لأنك تجده في القمة، وليس في الوادي ولا حتى على السفح، ليست هذه ادعاءات، هذه الأمانة التاريخية، والنظرة الإنسانية لفهم التأريخ.

مهد الحضارات (العراق)، حينما كان قوياً لم يستخدم قوته لقهر احد، على العكس من ذلك عاش، ورفل الآخرون، ممن عاشوا ورفلوا واستفادوا من قوة العراق وهم يتغنون بالعراق، المنصفون منهم وما أكثرهم عندما التقي الكثير من قادة الدول كانوا يحدثونني عن تاريخ العراق، يتحدث كأي عراقي لأنه منصف يتحدث عن تاريخ العراق، والشعر العراقي، وفلاسفة العراق، والمؤرخين، وعلماء الاجتماع، والمهندسين يتحدثون عن كل هؤلاء ولايزال العراق معطاءً يدخر الكثير من الطاقات.

يجب ان ننشر ثقافة البناء والتنمية، والابتعاد عن ثقافة الاستهلاك التي تجعل مجالسنا تثير عقداً وحقداً على الآخرين فضلاً عن عدم إسهامها بالبناء والإعمار... نحن بأمسّ الحاجة اليوم إلى مراجعة الذات مراجعة واعية تصل إلى مستوى الاستيعاب، ونحتاج إلى صراحة تصل إلى مستوى الشجاعة، شجاعة من يقف أمام

أخطائه بصراحة ويعترف بها، وبعد ذلك يعزم على ان يمضي مشواراً جديداً، ويستبدل الهدم بالبناء.

لذلك، الكل ينتظر من الشعب العراقي أن يبرهن للعالم كله بأنه شعب كان قوياً حين أصرّ على رفض الديكتاتورية، ورفض الاحتلال، وقوياّ بنفس الدرجة، على نذر نفسه للبديل المشروع، ويبني نفسه بنفسه، لسنا بحاجة إلى الآخر، وعندما نحتاج الآخر نجيد فن التعاطي معه من موقع الثقة.

العراق أمانة في أعناقنا

العراق أمانة في أعناقنا جميعاً، يجب ان نفكر بالعراق، ليس فقط بحجم الحكومة، الحكومة مؤسسة من مؤسسات الدولة، وتقوية الحكومة تسهم في تقوية الدولة، إنما نفكر بحجم الدولة العراقية، بمعنى الدستور الدائم، والبرلمان.

هذا الظرف الذي نعيشه الآن، وشبابنا يعيشون في مرحلة يمكن تسميتهم بـ (المخضرمون) على الرغم من صغر سنهم، ولكنهم لا يتجشمون عناء قراءة الكتب كثيراً، لكي يتعرفوا على صدام، ويعودوا الى الذاكرة، الى خمس سنوات مضت فقط، سيجدون صورة الإجرام والبديل عن الديمقراطية لم تتلاشَ اصداؤها من ذاكرة التاريخ بعد، لذلك هم مخضرمون، ليس بثقافة المقروء، بل بثقافة المحسوس والملموس.

تدركون جيداً أن الكثير من طموحاتنا لم تتحقق بعد، وان الكثير من التحديات لم تزل في الطريق، هذا صحيح، لكن الأصوات التي تتحدث عن المآسي، ينبغي ان تبرهن أنها تتحدث عن المآسي في طريق الحل، وتتحدث عن المشكلة بعقلية الحل، لا أن تتخذ من المشكلة مجالاً للبكاء على الأطلال والمراوحة فقط.

مسيرة هذا الشعب صاعدة وماضية

كلي أمل وثقة، ان مسيرة هذا الشعب صاعدة وماضية، نحو المستقبل، على الرغم من التحديات والصعوبات الموجودة، وعلى الرغم من الكثير من عوامل النقص التي منيت بها التجربة، ولكن تبقى العملية السياسية، ولله (جل وعلا)، الحمد والشكر، أنها تمضي باتجاه احترام التعددية، والحفاظ على الدستور، والحالة البرلمانية، والتعاطي مع الحالة الجديدة.

شعبنا بمأمن من الفتنة الطائفية

هذا هو العراق الجديد، ولعلكم إذا عُدتم الى تاريخ الأمم والشعوب من موقع المقارنة بين بدايتنا وبدايتهم، وليس بين بدايتنا مع حاضرهم، ستجدون ان بدايتهم لم تكن أحسن من بدايتنا، حروب أهلية طاحنة، الاتحاد السوفيتي (السابق)، والصين، واليابان، وفي أميركا، وفي بريطانيا، حروب أهلية طويلة وطاحنة، أما شعبنا، فقد استطاع بوعيه ان يتجنب حدوث حرب طائفية.

أنا لا أنكر ان هناك حرباً بين طائفيين، لمجاميع مقيتة من (السنة)، و(الشيعة)، تتبادل الشتائم والخطاب الاقصائي، وسمحت لنفسها ان تقتل الآخر، لكنها لم تتحول إلى حرب طائفية، الطائفة السنية، والطائفة الشيعية، بقيتا بمأمن من الفتنة الطائفية، ولذلك اختنقت فيها على الرغم مما أعدّ لها في الغرف المظلمة، وأسلحة الفتك، وثقافة التكفير الا ان كل هذا باء بالفشل، وبقيت الأوساط الشيعية والسنية تذرف دمعاً على القلة التي هجرت من مناطقهم.

لست مغروراً بشعبي، عندما أقول: على كل مسؤول ان يتعلم من الشعب العراقي، انه شعب المعلمين، الشعب الذي يربي، ويعطينا درساً.. مادة الوطنية العراقية ليست عواطف مجردة، بل هي عواطف مستوحاة من القيم والمبادئ، ومن هنا ينبغي ان تكون ثقافتنا الجديدة، ثقافة تجمع بين الاصالة الموغلة بتاريخنا، والنافذة في أعماق وجداننا وشعبنا، وكذلك تجمع مع جديد الجديد، والتجديد الذي نأخذه من موضع ثقة من الآخر من دون ان نتعقد، أو نفقد الثقة بأنفسنا.

أنا أتصور، ان العراق الجديد بإذن الله (تبارك وتعالى)، سيكون أنموذجاً للعالم، ولوحة جديدة للتعايش بين أبناء الديانات، وأبناء المذاهب والقوميات.

أتمنى لشبابنا كل الموفقية، وهم يخوضون غمار العلم والمعرفة، ويسهمون في بناء العراق الجديد، من موقع العلم والاختصاص.

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.